الحياء ومهنة الهندسة

في هذه الحلقة نريد أن نقف على أثر الحياء في مهنة على جانب كبير من الأهمية في حياتنا، ألا وهى مهنة الهندسة، ولنكتف من بين فروعها المختلفة على الهندسة المدنية والهندسة المعمارية.

للالتزام بخلق الحياء أثر كبير في شتى ميادين الحياة، وميدان الهندسة بصفة عامة والهندسة المدنية والهندسة المعمارية بصفة خاصة إذ هي ميدان من أهم الميادين التي نرى لخلق الحياء تأثيراً عليها، حيث يجعلها محققة لما يطلبه الناس من العاملين فيها، فالهندسة المدنية تقوم من بين ما تقوم به بتوفير المسكن المناسب والملائم لحاجات الناس، آخذة في اعتبارها قيم هؤلاء الناس وأخلاقياتهم، بمعنى أن المسكن الذي يصممه المهندس وينشئه ينبغي أن يعكس قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، وأن يحقق الراحة لقاطنيه، حتى يتمكنوا من الإسهام في بناء المجتمع ذلك أن المواطن الذي يعيش في مسكن مناسب مريح يكون قادراً على الإسهام في بناء مجتمعه بصورة أفضل من الشخص الذي يسكن أماكن لا تتوفر فيها الراحة الكافية، أو لا يسكن على الإطلاق.

فتعامل المهندس مع المبنى الذي يصممه هو تعامل مع الذين سيقيمون فيه سنين طويلة، ومن هنا تظهر أهمية الدور الذي يؤديه هذا المهندس في حياة الناس، وأثر التزامه بخلق الحياء وهو يقوم بهذا الدور.

هل تقصد أن الهندسة المعمارية والهندسة المدنية لهما دور في حياة الناس ينعكس على كفاءة أدائهم لأعمالهم في المجتمع؟

نعم هذا ما أقصده تماماً، بمعنى أن أساليب البناء للمساكن ومدى

ملاءمتها للبيئة، وللقيم السائدة تنعكس إيجاباً أو سلباً على حياة الناس، وأدائهم لواجباتهم، فالمسكن الصحي المريح يختلف عن المسكن سيئ التهوية الذي لا يوفر إقامة مريحة، فعندما تكون أساليب البناء وتوفير المساكن نابعة من ظروف البيئة ومحققة لما تتطلبه ظروف الناس، يعيش الناس في جو من الراحة والرضا، وعندما تقدم لهم أبنية لا تناسب البيئة التي نعيش فيها، يحس الناس بالضيق، ويتكبدون تكاليف إضافية، كي يجعلوا هذه المباني صالحة للإقامة فيها.

ما دور الاستحياء من الله تعالى في هذا السلوك الهندسي؟

المهندس الذي يستشعر الحياء من الله تعالى يقدم للناس ما يناسب ظروفهم واحتياجاتهم ولا ينقل النماذج الأجنبية التي لا تتناسب مع البيئة التي نعيشها، ولا مع الاحتياجات التي نحتاج إليها، متابعاً في ذلك الفكر الأجنبي الذي يبتكر النماذج المناسبة لظروف الأجانب واحتياجاتهم، وهي تتفق مع قيمهم وأفكارهم ونقلها إلى بيئاتنا نوع من الاغتراب الفكري، لا يقع فيه من يستشعر خلق الحياء من الله تعالى لأنه في هذه الحالة لم يحفظ ما وعته الرأس من قوى مفكرة، ينبغي أن تتمتع بالاستقلالية والبعد عن التبعية التي لا تليق بمن يحمل عقلاً وينتج فكراً، وعندما ينقل عن الغير فإنما ينقل ما يناسب ظروفه وبيئته وقيمه وأخلاقه.

هل تضرب لنا بعض الأمثلة لهذا الاغتراب الذي وقعنا فيه؟

الأمثلة كثيرة وواضحة أمام أعين الجميع لكن أحداً لا يتوقف ويطالب بوقف هذا الاغتراب والنقل غير المفيد فمثلاً تشييد المباني الخراسانية في صعيد مصر، حيث الحرارة الشديدة، على نمط المباني الغربية التي تشيد

لمناطق باردة يمثل نوعاً من الاغتراب، ومثالاً تطبيقياً على تبعية العقل للفكر الأجنبي الذي لا يناسب بيئاتنا، وهو عدم حفظ لما حوته الرأس من قوى مفكرة، وعقلية واعية، وهبنا الله تعالى إياها كي نستخدمها في تحقيق ما يناسبنا، بأن نبتكر النماذج التي تناسب البيئة التي تحيط بنا ونعيش فيها، لا أن نعتمد على ما يبتكره الآخرون مما يناسب قيمهم، ويتفق مع بيئاتهم، وأيضاً المهندس الذي يستوحي النموذج الأمريكي فيجعل المطبخ جزءاً من قاعة الطعام أو مفتوحاً على غرفة الاستقبال، لم يستخدم عقله الواعي في تصميم ما يناسب قيمنا وتقاليدنا، وإنما ينقلنا إلى قيم وتقاليد وثقافة مغايرة لكل ما درجنا عليه في هذا المجال، ناهيك عن المهندس الذي يصمم الوحدة السكنية فيجعل من مكوناتها «البار» وهو يتناقض مع قيمنا ومبادئ ديننا، ومن ثم فإنه لم يستح من الله تعالى لا حق الحياء ولا بعض الحياء.

ما دور استخدام مواد البناء المتوفرة في أرضنا في تحقيق التخلق بخلق الحياء من الله تعالى؟

لقد سألت عن شيء هام جداً وأثرت قضية هي في صلب موضوع الحياء من الله تعالى. إن المهندس الذي يتخلق بخلق الحياء من الله تعالى يستحى أن يستخدم في عمله المواد التي ترهق كاهل ميزان مدفوعات الدولة، وهو يستطيع أن يستخدم المواد المحلية التي تؤدى نفس المهمة ويخلق استخدامها فرص عمل محلية، وربما كانت أفضل من مثيلاتها المستوردة من الخارج، لكن الغربة الفكرية والتبعية تجعل البعض لا يستخدمها أو لا يحاول أن يبحث عنها، كذلك فإن من الحياء من الله تعالى أن يعمل المهندس على تجنب الإسراف في استخدام المواد، وأن يعمل على خفض التكلفة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فترتفع بذلك إنتاجية عوامل

الإنتاج ويسهم في سد حاجة المجتمع، من هذه السلعة الأساسية وفوق ذلك فإن الحياء من الله تعالى، يتطلب من المهندس المسلم أن يربأ بنفسه عن أن يمارس غشاً أو يرتكب مخالفة لأصول مهنته التي عاهد الله تعالى على مراعاتها، وهو يعبد الله تعالى بممارستها، وأن يتنبه للقضية الواردة في الحديث الشريف: «وَلْتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى» أي أن يذكر أنه راجع إلى ربه، وملاقيه بأعماله، وأنه مجزى عنها، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة:٧، ٨].

والله ولى التوفيق